العدد (٤) ذو الحجة ١٤٣٨ هـ / أيلول ٢٠١٧م

الموعود

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

- ردُّ الاستدلال برواية الوسيَّة على دعوى المهدويَّة ـ الشيخ أبو محمد القره غولي.
- تحصين الأنام من دعاوى الاتِّصال بالإمام عليه السلام ـ الشيخ جاسم الوائلي.
- عنصر الخفاء في القضية المهدوية ـ الشيخ حسين الأسدي.
- الشيخ النعماني وكتابه (الغيبة) ـ المرحوم الشيخ عامر الجابري.
- دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية ـ الشيخ مشتاق الساعدي.
- سلمان المحمّدي رضي الله عنه وارتباطه بالعقيدة المهدوية ـ الشيخ د. عليّ الفياض.
- الدعاء المهدوي وآثاره في بناء الفكر والعقيدة ـ الشيخ حميد الوائلي.
- ضرورة وجود المعصوم عليه السلام ـ الشيخ إسكندر الجعفري.
- انتظار الفرج وأثره في الحدّ من الآفات الاجتماعية ـ محمّد باقر آخوندي.

التمهيد الأربعيني

رئيس التحرير

تُمثِّل بعض القضايا في المجتمعات البشرية الركائز الأساسية للتراث الشعبي، وتتوارث الأجيال قرناً بعد آخر هذا التراث، وتُضحّي لبقائه حتَّىٰ لو لزم بذل النفس من أجله.

ويُعَدُّ التراث المتنوّع لشعب ما مصدراً من مصادر المعرفة، ورافداً للفكر والإبداع والارتقاء المعرفي والأخلاقي في الأُمَّة.

إنَّ هذا الأمر يتكوَّن بمعزل عن كون هذا التراث قد تشكَّل عن عادات وتقاليد، أو كان مستلًّا من نظام معرفي أو عقدي.

ومن جادَّة هذا الموروث يستلهم الأُدباء والشعراء، بل والمفكّرون والفلاسفة مبادئ تنطلق بهم لتشكيل هويَّة مجتمعهم.

ويتمتَّع الكثير من التراث لدىٰ الشعوب في زماننا بحماية قانونية دولية خشية تعرضه للتلاشي والاندثار، فتنصُّ القوانين الدولية علىٰ ضرورة المحافظة علىٰ التراث وتطويره وتنميته، وأنَّ هذه المسؤولية تقع علىٰ عاتق الأفراد والجماعات، حيث جاء ذلك في إطار اجتماع المؤتمر

العـامّ لمنظَّمـة الأُمـم المتَّحـدة للتربيـة والعلـم والثقافـة عـام (١٩٧٢م)، وانبثقـت مـن ذلـك لجنـة الـتراث العالمـي التـي مهمَّتهـا حمايـة الـتراث للشـعوب والـدول.

والجديـر بالذكـر أنَّ هـذه القوانـين هـي لحمايـة الـتراث، وليـس لهـا علاقـة بآليـة تكـوّن ذلـك الـتراث وأسـباب حصولـه.

نعـم يحلـو للبعـض أن يرمـي جملـة مـن الظواهـر التراثيـة ذات العمـق المتأصّـل بالخرافـة والبدعيـة...، وهـذا شيء آخـر.

مـن الزاويـة الدينيـة لا يختلـف الأمـر كثـيراً، إذ الكثـير مـن الموروثـات التراثيـة هـي في الحقيقـة ممارسـات دينيـة ابتعـدت عـن ثوبهـا الدينـي، ولبسـت ثوبـاً شـعبياً، ومـع تطـاول الزمـن لم تعـد تُنسَـب للديـن، وصـار شـاخصها البـارز هـو تراثيتهـا ومـا تُمثِّلـه مـن عمـق في المـوروث الشـعبي.

وفي الحقيقـة أنَّ جملـة مـن الطقـوس إنَّـما تُقـام عـلىٰ أسـاس مـا تتمتَّـع بـه مـن قيمـة معنويـة ورمزيـة، وغالبـاً مـا تكـون تلـك الطقـوس أفعـالاً تأخـذ منحـىٰ الضبـط والتنظيـم، وتكـون نابعـة - نحـواً مـا - مـن عمـق اسـتدلالي مرتبـط بجهـات عليـا تُمثِّـل للأفـراد عنـصر القداسـة والارتبـاط.

نعـم قـد يبـدو في بعـض الأحيـان بعـض مـن تلـك الطقـوس أنَّهـا لا تتمتَّـع بقـدر مـن الحكمـة، أو أنَّ فيهـا عـدم انسـجام أو منفّريـة.

ويمكـن لنـا بنظـرة أوَّليـة أن نصنّـف الطقـوس والمـوروث الاجتماعـي إلىٰ طقـوس اجتماعيـة ودينيـة وروحيـة وعلميـة وسياسـية، بـل وحتَّـىٰ رياضيـة

وذهنية.

ومن زاوية أُخرىٰ يمكن تصنيفها إلىٰ طقوس غريبة وعادية ومألوفة، أو لها أساس أو ليس لها كذلك، وطقوس قديمة وحديثة. وهكذا ومن بين تلك الطقوس طقس العبور - في اليابان -، والذي لا زال يُمارَس إلىٰ الآن حيث يمارسه الآلاف ويُعبِّر عن عبور أفراد إلىٰ سنٍّ البلوغ، أو عن انعزالهم بعد وصولهم لسنٍّ معيَّن.

وكذلك طقس الحفل الثلجي لمدينة سابوروا اليابانية الذي يستمرُّ لمدَّة سبعة أيّام ويحضره الآلاف.

وهكذا العشرات، بل المئات من الطقوس والمهرجانات التي يحضرها الآلاف، والتي تُقام في مختلف البلدان والشعوب لمهرجان دفييش (كوينا) التركي، والذي يُعَدُّ مهرجاناً دينياً يحضره الآلاف، كذا مهرجان الأرز الإندنوسي، ودي والي الهندي، والطماطم الإسباني، كذلك دريو البرازيلي، وكمريوز الأمريكي، والمصابيح التايلندي، والخريف الكوري، والعيش مع الأموات الإندونيسي، وهكذا لا يخلو شعب من الشعوب من مهرجان وطقس، بل العشرات، يحضره الآلاف، يُعبِّر فيه الناس عن انتماء اجتماعي أو اقتصادي أو ديني، وهكذا.

من هذا المنطق فإنَّ إحياء السنن والطقوس سواء ما كان منها دينياً أو ثقافياً هو سُنَّة عقلائية يمارسونها بدافع تخليدها والاستفادة منها للأجيال اللاحقة، واستحضار القيم التي تحملها لأجل تجسيدها.

أمَّا في المجتمعات الإسلاميَّة بشكل خاصّ، فإنَّ المنظومة التشريعية قد وظَّفت هذه الموروثات في سبيل المحافظة علىٰ المجتمعات، وأثرتها أيّما إثراء، بل أدخلت بعضاً منها في إطار المنظومة الدينية وجعلتها جزءاً من التراث الديني، ومن بين تلك الموروثات المقدَّسة التي تنامت بشكل كبير ولافتٍ هي المسيرة الأربعينية لزيارة سيِّد الشهداء عليه السلام، والتي أضحت اليوم بفضل الجهود الجبّارة من قِبَل جميع الجهات الراعية لها، المسيرة المليونية الأُولىٰ عالمياً، من حيث العدد والمساحة والتعبئة والتنظيم والبذل والأمان، وتحصيل سُبُل الكمال والتطوّر الذاتي والروحي.

إنَّ النصوص الشرعية المقدَّسة تنصُّ علىٰ أنَّ السائر في هذا الدرب يصل إلىٰ محطَّة يكون فيها قديساً: فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «ان الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله اذا خرج من اهله باول خطوة مغفرة لذنوبه، ثم لم يزل يقدس بكل خطوة حتى ياتيه...» وإنَّ من أتاه «وكَّل الله به ملكين يكتبان ما يخرج من فيه من خير ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شرٍّ»[1].

وهذه المحطَّة لا تحصل متكاملة ما لم ينظمّ إليها حضور وليِّ الأمر عليه السلام الذي به قبول الأعمال وسرّ صعودها...

إنَّ هذه المسيرة المليونية تُمثِّل في الحقيقة عقد بيعة مع الإمام المهدي عليه السلام من خلال طريق: يا حسين عليه السلام.

إنَّ هذه الحشود الجبّارة هي النواة الأُولىٰ لدولة الإمام عليه السلام.

إنَّ بحيرة كربلاء التي تصبُّ فيها هذه الروافد البشرية كفيلة بأن تُغيِّر مسار التاريخ وتفتح نافذة الظهور المبارك.

إنَّ المنظِّم الحقيقي لهذه المسيرة المباركة هو الإمام عليه السلام، فهو راعيها وحاميها والمدافع عنها، وهي رصيده الذي لا ينضبُّ.

فينبغي أن تُرسَم في هذه الجغرافية الخاصَّة لوحة فريدة لم يسبق للعالم أن رأىٰ جمالها وجلالها وسحرها وألقها، إنَّها لوحة (التمهيد الأربعيني).

* * *

الهوامش:

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٥٢ و٢٥٥/ ح (٢-٣٨٣) و ح (٣٨٣/ ٦).